بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

احتلت المعلقات المكانة السامقة فى الشعر الجاهلى، فكانت آيته الخالدة فى تاريخ الشعر العربى قاطبة. فقد علقت بأذهان العرب وأفئدتهم، وشغلت النقاد والباحثون منذ أن جمعها حماد الراوية فى القرن الثانى الهجرى وحتى عصرنا الحاضر، حيث صنفت حولها الشروح العديدة للنقاد القدامى، كما أفرد لها الباحثون عدداً من الدراسات التى تباينت فى مناهجها ونتائجها، لكنها فى مجملها جهود جادة خصبة أثرت لبحث وأنارت له السبيل.

ويرجع ارتباط الباحث بالأدب الجاهلى إلى مشيئة الله أن حيث شغف بدراسته خلال السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الجامعية، ومن ثم فقد تزايدت معرفته بالشعر والشعراء الجاهليين وبيئاتهم بكل عناصرها الطبيعية والحيوانية والبشرية، فضلاً عن معرفته بمناهج الشراح للأشعار الجاهلية، ثم أعقب ذلك دراسته للقضايا التى أثيرت حول هذا الشعر فى كتابات النقاد القدامى والمحدثين.

ويعزى الفضل فى اختيار هذا الموضوع إلى التوجيه الكريم من **أستاذى الدكتور/ محمد زغلول سلام**، الذى أفسح فى مؤلفه عن الشعر الجاهلى صفحات، أوضح فيها مفهوم التسجيل والتعبير فى القصيدة الجاهلية.

ويدور هذا البحث حول موضوع "**شعر المعلقات العشر بين التسجيل والتعبير دراسة أسلوبية**" وينطلق مفهوم "**التسجيل**" هنا من أقوال النقاد العرب القدامى فى وصفهم للشعر الجاهلى قالوا: إنه "**ديوان العرب**" و "**سجل العرب**" و "**علم العرب**".

ويقصد "**بالتسجيل**" فى قصائد المعلقات ما يقوم به الشاعر من رصد وتدوين لكافة الظواهر والأحداث والأشياء المحيطة به فى بيئته البدوية، أى "أن تكون القصيدة مصدراً للمعرفة.. -أى معرفة- أى أنها تسجيل لحقيقة ما، سواء أكانت هذه الحقيقة صورة للواقع الطبيعى فى بيئته الشاعر صاحب القصيدة، من جماد، أو حيوان، أو نبات، أو إنسان، أو تسجيلاً لظاهرة اجتماعية، من عادة، أو تقليد، أو عقيدة، أو تسجيلاً لحدث بكل أبعاده، من حرب، أو غارة، أو صراع بين أفراد أو جماعات"[1].

ويهدف منهج التسجيل فى اعتماده على النص الشعرى، واستنطاق ألفاظه إلى تكوين صورة واضحة عن طبيعة البيئة الصحراوية، والحياة العربية البدوية فى العصر الجاهلى،

---

(١) انظر مدخل إلى الشعر الجاهلى- د/ محمد زغلول سلام، ص١٣٥، ط١، منشأة المعارف- الإسكندرية ١٩٨٩.

دون اللجوء إلى إقحام أفكار أو أيديولوجيات غربية، تكون بعيدة وغريبة عن جو النص الشعرى، وظروف المجتمع العربى فى تلك الفترة المبكرة التى أنتج خلالها، فضلاً عن بُعدها فى أغلب الأحيان عن أفهام الشعراء المبدعين أنفسهم، بمعنى أن الباحث سوف يتخذ من النص مرشداً وهادياً له، وذلك بأن يسبر أغوار ألفاظه ليكشف عن مكنون دلالاتها، باعتبار أن الألفاظ أوعية لثقافة المجتمع والمبدعين معاً.

أما "**التعبير**" فى القصيدة فيقصد به تلك الترجمة للأفكار والمشاعر والأحاسيس الداخلية لدى الشاعر، وإخراجها فى صيغ وأنساق تعبيرية متعددة، وكذلك صور بيانية مختلفة تؤثر وجدان المتلقى. أى أن ترجمة الأفكار والدلالات والمضامين الوجدانية ونقلها من صورتها المعنوية المجردة إلى صورتها المحسوسة تتم بواسطة التعبير.

فالتعبير إذن هو المظهر اللغوى للكلام كمنطوق دال، ولذلك فهو يقابل المضمون أو مدلول الكلام.

والتعبير الشعرى المتمثل فى عبارات القصيدة وألفاظها يتمتع بتقنية عالية فى التنسيق. وتتحقق بنية هذا التعبير على مستويات مختلفة؛ كالمستوى الصوتى، والمستوى التركيبى الصرفى والنحوى، وكذلك المستوى التصويرى.

ويأتى المنهج الأسلوبى الذى يتعرض لدراسة النص الأدبى فى ذاته ولذاته، دون النظر فى أية ملابسات أخرى تحيط به، ليتناول من خلاله الباحث دراسة قصائد المعلقات فى إطار المستويات الثلاث السابقة.

ولما كان البحث يتعرض لدراسة شعر المعلقات من زاويتين:

الأولى: التسجيل. **والثانية:** التعبير من الوجهة الأسلوبية.

فقد كان حتماً على الباحث أن يتناول هذه الدراسة بمنهجين مختلفين: الأول: المنهج التسجيلى. والثانى المنهج الأسلوبى.

وكلا المنهجين يعتمد على النص فى ذاته اعتماداً كلياً، وإن اختلفت طريقة التناول والأدوات الإجرائية فى كل منهما.

وبناء على ذلك فقد جاءت الرسالة فى قسمين يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، وملحق بمتون المعلقات، وثبت بالمصادر والمراجع وملخص البحث.

وقد قدّم التمهيد تعريفاً موجزاً بالمعلقات العشر وشعرائها، وإلماماً سريعاً بدعوى التعليق، وعدد المعلقات وأصحابها وترتيبها وروايتها.

وجاء القسمان فى سبعة فصول :

القسم الأول: التسجيل فى شعر المعلقات، ويضم أربعة فصول:

الفصل الأول: دراسة نظرية تبحث فى أصول نظرية التسجيل فى الشعر الجاهلى فى النقد العربى القديم والحديث.

أما الفصول الثلاثة الأخرى، فشملت الدراسة التطبيقية لهذه النظرية فجاء

الفصل الثانى بعنوان: تسجيل الطبيعة الحية والصامتة.

والفصل الثالث : تسجيل حياة الحرب والسلم.

والفصل الرابع : تسجيل الحياة الاجتماعية.

القسم الثانى: التعبير فى شعر المعلقات من الوجهة الأسلوبية، ويضم مدخلا نظريا وثلاثة فصول تطبيقية يتناول المدخل الربط بين التعبير والأسلوبية من جانب، والأسلوبية وممارسة النص من جانب آخر. أما الفصول الثلاثة فتضم مستويات الدراسة الأسلوبية.

الفصل الأول: المستوى الصوتى.

الفصل الثانى: المستوى التركيبى.

الفصل الثالث: المستوى التصويرى.

ثم كانت الخاتمة التى قدمت ملخصا للبحث وعرضا لأهم نتائجه، أعقبها ملحق بمتون المعلقات، وثبت بالمصادر والمراجع.

ولم تسلم هذه الدراسة من بعض الصعوبات التى واجهت الباحث، وكان على رأسها كيفية الخروج من إثبات نظرية التسجيل فى النقد العربى إلى حيز التطبيق على شعر المعلقات، ولم يسبق أن تناولت دراسة هذا المنهج وطبقته على الشعر الجاهلى أو غيره فيما طالعت من الدراسات العربية سوى المعالجة الموجزة فى كتاب العالم الجليل الدكتور محمد زغلول سلام المشار إليه.

ولم تكن المعالجة بالمنهج الأسلوبى فى القسم الثانى بأيسر حالا من التسجيل، فضلا عن أصول النظرية المتشعبة فى كتابات النقاد الغربيين، فالروافد التى يعتمد عليها فى نطاق التطبيق كثيرة ومتنوعة فى علوم العربية وتحتاج إلى صبر وأناه شديدين، وحتى يتمكن الباحث من تكوين الخلفية الضرورية لامتلاك الأدوات الإجرائية التى يستطيع من خلالها الوصول إلى نتائج صحيحة.